عش رجباً
ترَ عجباً

مشاهدة مؤلمة في نيويورك
معرّة على المدنية الحديثة

(بقلم نقولا افندي الحداد)

ما كان يلوح لي وانا في اميركا أم الغنى وينبوع الخير والرزق أن أرى ما رأيته في الساعة التاسعة مساءً منتصف الشهر الغابر . وما زلتُ الى الآن اتعجب واتحير من ان الامر الذي رأيته ودهشني انما هو شيءٌ مألوف في هذه البلاد

كنتُ ذاهباً في تلك الساعة الى مخدعي حيث اريح مجموعي العصبي بعد جهاده كل النهار في تلقي ضوضاء المدينة وجلبتها وتلاطم الافكار في لجة العمل فاذا بي قد استوقفني أمرٌ زاد اعصابي اضطراباً وامواج افكاري التطاماً . فلم انم مطمئن البال

رأيت رهطاً من الادميين (نحو ١٥٠ رجلاً) وقد اندفع في عرض الشارع الى شارع آخر مقاطع له . ولا يخفى ان حب الاستطلاع غريزة في البشر . فتقدمت الى القوم لارى ما الخبر فاذا هم قد اصطفوا على رصيف الشارع متلازّين متراصّين كأنهم جدار من الابدان البشرية . فمشيت وراءهم ثم امامهم فلم أرَ شيئاً غريباً سوى ان رجلاً القى امام ذلك الصف صندوقاً من الخشب كان يتأبطه . فعلمت ان السر منحصرٌ في هذا الرجل فتقدمت وراء الواقفين حتى صرت بإزائه فوجدت انه يوزع على اولئك الوقوف شيئاً وقد أصابني نصيبٌ منه

تناولت ذلك النصيب فاذا هو قطعة من الخبز بقدر الكفّ — بلا مبالغة — فقلت لمن هو الى جانبي ,, ما هذه ،، . قال ,, عشاءٌ ،، وكان يلوك خبزته . فقلتُ له ,, لقد تعشيت . فهل لك فيها ؟ ،، فتناولها في الحال والتهمها

و بعد هنيهة انفردتُ بذلك الرجل وقلت له . ,, ما زلت لا افهم شيئاً مما أرى . فما معني هذا ؟ ،، فضحك وقال لي ,, هؤلاء مساكين مدقعون لا يملكون شروي نقير ولا عمل لهم يسترزقون منه فيتضوّرون جوعاً . وذلك الرجل يتسوّل من اجلهم بضعة ريالات فيبتاع بها خبزاً و يفرقه عليهم ،،

فقلت ,, وماذا تفي هذه البلغة من حاجة المعدة الي الغذاء سوى انها تثير الشهوة وتهيج الجوع ،،

فقال ,, انها خير من طيّ الليل كله على الطوى ،،

فقلت ,, أليس عجيباً ان تُعدّ بلغة العيش عشاءً يحيي الرمق في اميركا وفي مطاعمها فضلات الخبز تُقري قبائل وفي براريها المترامية الزروع الخصيبة وفي أهرائها عِرَم لا تعدُ من الحنطة والحبوب وفي نيو يوركها قناطير مقنطرة من الاموال ؟ ،،

فقال ,, ليست لنا هذه التي تعدّها بل هي لاهل الثراء الذين يتنعمون في قصورهم و يبذخون في انديتهم . واما نحن العمال الذين بنينا لهم تلك القصور واقمنا لهم تلك الاندية فلا ناكل خبزنا الا يوم نجد شغلاً نسكب فيه عرقنا . فان وقفت حركة العمل وجب ان تقف حركة حياتنا معاً ،،

وما زلتُ ازداد حيرة ودهشة ولا اكاد اصدّق ما اسمع وأرى فقلت ,, أليس عاراً على اميركا التي تُعد اسعد الممالك واهنأها شعباً ان يوجد فيها ناس كالعازر يتسقّطون الفتات من موائد الاغنياء ؟ ،،

فضحك قائلاً . ,, اراك يا هذا لا تزال تعتقد اننا نعيش لاننا نتحرك .

لا . لانعيش . بل نحن موتى لاننا خلو من كل لذة . ولو كان نصيبنا اليوم من العالم كنصيب اليعازر من الغنى لكنا في نعمة ونعيم . ولاعتقدنا ان هناك فئة اخرى تحسدنا عليها . ولكن ألم ترَ ماذا كان عشاءنا في هذا المساء . آمن بالله يا رجل وصدق انني لم اذق طعم القهوة منذ ١٥ يوماً ،،

فتنهدتُ متألماً ونفختُ نفخ الافعى والتفتُّ الى ذلك الجمع فرأيت الرجل الذي وزع عليه كسر الخبز قد جعل يصفّها في عرض الشارع سبعة سبعة متلاصقة متضامة حتى صار كأنه كتلة جثث لا تزال تتنفس كأن لها بقية رمق ولا تزال تحيا كأن الموت مغمض عينيه عنها

ثم ركع الرجل على صدوقه وجعل يصلي واولئك الاشباح رفعوا قبعاتهم حتى انتهت الصلاة

ثم وقف الرجل وجعل يتكلم وكان على الرصيف بعض رجال ونساء واقفين يرون و يسمعون و بعض المارّة يتوقفون هنيهة ثم يتمشون

وكان فحوى كلام استهلال الرجل ان ،، بعض الناس يسمون هؤلاء الرجال اوباشاً . وبعضهم يسمونهم اوغاداً . وبعضهم يقولون (تنابل) . فسموهم ما تشاؤون فانهم لا يزالون بشراً واخوة لنا في الانسانية . ومهما يكن سبب بؤسهم فعلينا ان نرد هجمات الجوع عنهم . ليس لهم من حطام هذه الدنيا غير اجسادهم وما عليها من الرداء . فاذا تعطف عليهم المشفقون اكلوا وان احسنتم عليهم الآن امكنهم ان يناموا في مضاجع كسائر البشر

،، حاجتنا الى ١٥ سنتاً اجرة مخدع لكل منهم في هذه الليلة فان لم نستطع ان نجمع حتى منتصف الليل السنتات المطلوبة بقي هولاء المساكين يتجولون في شوارع المدينة حتى الصباح واسنانهم تصرّ وابدانهم تقشعرّ برداً كما جرى لهم ليل الاحد الماضي ،،

واسترسل ذلك الرجل بمثل هذا الكلام وغيره مبيناً ادواء الهيئة الاجتماعية وعللها حتى مرت نحو ساعة فجعل يرنم واولئك التعسون يشتركون معه. وبعد ترنيم عدة ترنيمات استأنف الخطابة ثانية

وكان في خلال ذلك يتقدم اليه بعض المارّة أو الوقوف ويدفعون له ما جادت به انفسهم

وكان في تلك الغضون ايضاً يعبر بعض اكابر القوم في اوتومو بيلاتهم فلا يعبأن بما يرون . فكنت . اخاف ان يهيج الغيظ والحنق اولئك الجائعين فيهجمون عليهم هجوم الذئاب الخائرة على قطعان الغنم . ولكن انّى يفعلون ذلك وهم يقرأون ويطالعون ويعلمون كسائر الانام ان في البلاد شريعة قاسيةفي معاقبة المتهجمين الغزاة القتلة

وقد علمتُ ان نيويورك وغيرها من المدن الكبري لا تخلو من مثل هذا المشهد كل ليلة وفي احياء المدينة عدة مشاهد مثله على مدار السنة. ولكن الذي زاد الطين بلة هذه الازمة الحاضرة التي قطعت ارزاق الوف من العمال. فماذا يفعلون ؟ قال ذلك الرجل الذي كان يخطب ان بين هؤلاء الاشقياء رجلاً فقد وظيفة مهمة بسبب هذه الازمة وما كان يخطر له ان يقف هذه الوقفة . ولكنه اضطر ان يقفها فماذا يفعل ؟

يقولون ان في اميركا الوفاً من الاغنياء المحسنين الذين يجودون بالالوف والملايين للاعمال الخيرية العمومية . فلماذا اذاً لا زلنا نرى مثل هؤلاء المساكين يتوقعون لقمة من العيش عشاءً وينتظرون مرقداً خشناً ولو في آخر الليل . .

يقولون ان اميركا اغنى ممالك الارض وان شعبها أهنأ الشعوب واسعدهم فما بالنا نرى قوماً يشتهون الفتات الذي يقع عن مائدة الاغنياء ومع

ذلك لا ينالونه

يقولون ان المرء في اميركا كيف تحرّك يكسب نقوداً . فها الوفاً من العمال يتضورون فلا ينالون رغيفاً

يقولون ان اميركا بلاد الشغل والعمل وأي كان فيها يجد مسترزقاً . فما بال هؤلاء المتضوّرين لا يجدون

لم يزل البشر هم اياهم والارض كما يعهدونها . فلا قحط ولا محل ولا ولا جدب ولا ضربات من الله ولا من ابليس . وما زال الناس ذوي قوى للعمل ومعدٍ للأكل واجساد للبس الخ فلماذا تقف حركة العمل حتى يتضايق العامل ؟

الجواب عن كل ما تقدم

اولاً ان النظام الحالي جعل الاعمال كلها في يد مسيطرين عليها فاذا اقتضت مصلحتهم ان يستوقفوا حركتها اوقفوها . ولا يهمهم الامر اذا فني جمهور العمال او عانوا عذاباً وشقاء

ثانياً ان في اميركا خيرات كثيرة جداً ولكنها غير موزّعة على مستخرجيها بحسب استحقاقهم منها بل بحسب المطامع والتحايل النظامي في توزيعها

وعدم الانصاف في توزيع الثروة في اميركا اكبر مصائبها وهو اسوأ فيها منه في كل العالم . وربما كان سبب القضاء عليها في المستقبل القريب او البعيد

ثالثاً ان الاموال التي جاد بها المحسنون من الاغنياء قلما قصد منها ان تنفق على الاعمال الخيرية لاجل دفع البلاء ورفع الشقاء عن الجنس البشري وتخفيف ويلات الفقراء بل قصد فيها بالاكثر اقامة معالم الفخر والمجد لذويها وانما فُعل هذا بحجة فعل الخير العمومي

فكرنيجي مثلاً ملأ البلاد الاميركية مكاتب كُتب عليها اسمه حتى يقال

بعد وفاته — اطال الله بقاه — انه كان محباً للأدب والعلم وخادماً لهما

ولكننا ما رأينا ان كرنيجي ابتنى مئآت والوفاً من المنازل الصغيرة لكي يؤجرها لفقراء البشر بنصف اجرة مثلاً . ولا اقام الفنادق العديدة التي تؤجر غرفها بقيم زهيدة للعمال المساكين الذين متى وقفت حركة العمل اضطروا ان يناموا متجولين في الشوارع او يتجولوا نائمين . ولا انشأ مطاعم عديدة في الاحياء المختلفة لكي يأكل فيها الفقراء المحتاجين بنصف او ربع ثمن عند مسيس الحاجة

المدارس والمكاتب الخيرية نافعة جداً ولازمة للبلاد . وهي من أهم اسباب رقيها — ليس من ينكر ذلك قط ولا يثبط العزيمة في الجنوح اليه . ولكننا ما رأينا فقيراً يدخل الى مكتبة او الى مدرسة لانه قبل ان يغذي عقله يحتاج الى ان يغذي جسده . وقبل ان يحتاج الى مكتبة يصرف وقت الفراغ فيها يحتاج الى غرفة ينام فيها

تجودون فالشكر لكم . ولكن لا تكونوا مرائين في جودكم ولا تتبجحوا فيه

نقولا الحداد

صوتُ صارخ في ربوع الشرق

أسكته المنون

تذكاراً لقاسم بك امين

« الخطبة الاخيرة التي القاها قبل ثلاثة »

« ايام من وفاته »

في ثلاث سنوات فقدت مصر ثلاثة من افاضل رجالها الذين يضنُّ الزمان بمثلهم . المرحوم الشيخ محمد عبده والمرحوم مصطفى باشا كامل والمرحوم قاسم